الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

سياسة التعامل مع الإساءة إلى المقدسات الإسلامية من منظور السنن الاجتماعية

The policy of dealing with insulting to Islamic sanctities
From the perspective of social laws

رشيد كهوس*

كلية أصول الدين بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب k.rachid@uae.ac.ma

تاريخ الإرسال: 2022/05/30 تاريخ القبول: 2022/09/11 تاريخ: النشر: 2022/10/01

الملخص:

إن الإساءة إلى المقدسات الإسلامية عمل أهل الباطل في كل عصر؛ فهي امتداد للإساءات السابقة، وإن تلبست بلبوس مختلفة، وظهرت في صور متعددة، لكن هدفها واحد، هو القضاء على الإسلام، وإيذاء النبي ﷺ، وتشويه صورة النبوة والرسالة أمام الذين يبحثون عن الحقيقة، ومحاولة منع انتشار الإسلام في الغرب.

هذا والإساءة الحالية للنبي ﷺ وسائر المقدسات الإسلامية امتداد للإساءات السابقة وفق سنة الله تعالى في تدافع الحق والباطل، وسنته في المستهزئين بالرسل والرسالات.

ومن ثم فإن سياسة التعامل مع الإساءة إلى المقدسات الإسلامية تقتضي منا الحكمة والأناة، والأسلوب الهادئ، لا الاندفاع الجاهل والتحرك الأهوج.

* المؤلف المرسل

وبناء على ما تقدم؛ فسأتناول موضوعي من خلال فرعين اثنين:

أولا–الإساءة إلى المقدسات الإسلامية سلوك عدواني قديم.

ثانيا– سبل مواجهة الإساءة والحد منها.

الكلمات المفتاحية: السياسة، التعامل، السنن، المقدسات.

Abstract:

Offending Islamic sanctities is the work of the people of falsehood in every age. It is an extension of the previous offenses, even if it wore different clothes, and appeared in multiple forms, but its goal is one, which is to destroy Islam, to harm the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and to distort the image of prophethood and message in front of those looking for the truth, and to try to prevent the spread of Islam in the West.

This and the Noble Qur'an expresses insulting to the sanctities, especially the Prophets, peace and blessings be upon them, with harm, and it is one of his Sunnahs in prayers and messages.

The current abuse of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, the Holy Qur'an and the Mothers of the Believers is an extension of previous offenses in accordance with the Sunnah of God Almighty in the scramble of truth and falsehood, and his Sunnah in mocking messengers and messages.

Hence, the policy of dealing with insulting to Islamic sanctities requires from us wisdom, patience, and a calm approach, not ignorant impulsion and reckless action.

Based on the above; I will address my topic on the policy of dealing with insult to Islamic sanctities through the following sections:

First - Insulting Islamic sanctities is an ancient aggressive behavior.

Second - Ways to address and reduce abuse.

Keywords: Politics, dealing, toothing, sacred.

مقدمة:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإن الإساءة إلى المقدسات الإسلامية عمل أهل الباطل في كل عصر؛ فهي امتداد للإساءات السابقة، وإن تلبست بلبوس مختلفة، وظهرت في صور متعددة، لكن هدفها واحد، هو القضاء على الإسلام، وإيذاء النبي ﷺ، وتشويه صورة النبوة والرسالة أمام الذين يبحثون عن الحقيقة، ومحاولة منع انتشار الإسلام في الغرب.

هذا والإساءة الحالية للنبي ﷺ وسائر المقدسات الإسلامية هي امتداد للإساءات السابقة وفق سنة الله تعالى في تدافع الحق والباطل، وسنته في المستهزئين بالرسل والرسالات وسنته في الدعوات.. قال الحق جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ [الأنعام:34].

إشكالية الموضوع:

هل الإساءة إلى المقدسات الإسلامية في الواقع المعاصر هي وليدة الحاضر أم هي امتداد للإساءات السابقة عبر الأزمان وفق سنة الله في تدافع الحق والباطل؟

هل نواجه الإساءة بمثلها؟ أم أن الأمر يتطلب خططا محكمة وآليات متعددة؟

أهداف الموضوع:

-الكشف عن امتداد الإساءات الماضية إلى المقدسات الإسلامية إلى العصر الراهن.

-إبراز الرؤية السننية في الإساءة إلى المقدسات الإسلامية.

-بيان سبل مواجهة الإساءة إلى المقدسات الإسلامية والحد منها.

عناصر الموضوع:

وتأسيسا عليه؛ سأتناول موضوعي هذا في فرعين رئيسين:

أولهما عن الإساءة إلى المقدسات الإسلامية من منظور سنني.

وثانيها عن سبل مواجهتها والحد منها.

الفرع الأول: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية سلوك عدواني قديم وسنة إلهية في الرسالات..

إن الإساءة إلى المقدسات الإسلامية عامة وإلى رسل الله جميعا خاصة سنة من سنن الله القديمة والمتجددة، فكل رسل الله أوذوا والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ [الأنعام:34]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. ويقول ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: 95]، ويقول أيضا: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الحجر: 11].

وليس نبينا مُحَمَّد ﷺ بدعًا من الرسل المسخور بهم، بل جعل له الله تعالى سلوة في إخوته الأنبياء والرسل السابقين، إذ لم ينفك أحد منهم من هزء عداته وسخريتهم...

هذا والقرآن الكريم يعبر عن الإساءة بكلمة الأذى وقد أوذي سيدنا رسول الله ﷺ في نفسه وفي أهله وفي أصحابه وصبّ عليهم ما صب من العذاب.. وأسيء إلى رسل الله قبله أيضا..

أولا–أهم دواعي تكذيب الرسل:

تتعدد أسباب تكذيب الرسل والرسالات والإساءة إليهم، لكن أجمل أهمها فيما يلي:

1. **البغي:** ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(سورة البقرة: 213).

2. **الكبر:** ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾(سورة البقرة: 87).

3. **الجهل:** ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(سورة النمل: 84).

4. **الإجرام:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾(سورة الفرقان: 31).

5. **الكفر:** ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾(سورة النساء: 101).

6. **الإفساد:** ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(سورة الأعراف: 86).

7. **نزغ الشيطان:** ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾(سورة الإسراء: 53).

8. **شياطين الإنس:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(سورة الأنعام: 112).

9. **الجدال بالباطل**: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾(سورة غافر: 5).

10. **الهوى**: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾(سورة المائدة: 70).

11. **التكذيب**: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(سورة الواقعة: 82).

وتجلى التكذيب للأنبياء في الأمور التالية:

أ. التكذيب بالقرآن: ﴿إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(سورة الأنعام: 25).

ب. التكذيب باليوم الآخر: ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾(سورة الإسراء: 49).

ج. تكذيب الرسل أنفسهم: ﴿قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾(سورة إبراهيم: 10).

12. **التهم**: وتتعدد التهم وتتنوع بحسب ما شاع وذاع في الأوساط الاجتماعية لكل بلد:

أ. التهمة بكونه شاعرا: ﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾(سورة الأنبياء: 5).

ب. التهمة بكونه مجنونا: ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(سورة الحجر: 6) وجاءوا بكل وسائل التأكيد: إن، والضمير، واللام.

ج. التهمة بالسحر: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾(سورة الأعراف: 109).

د. التهمة بالكهانة: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾(سورة الحاقة: 42).

ومرد هذه الأمور كلها إلى ثلاثة عناصر وهي:

1.الكذب 2. الظلم 3. الكفر.

هذه الأسباب كلها من بغي وكبر وجهل وإجرام وكفر وإفساد ونزغ الشيطان والجدال بالباطل والعداوة واتباع الهوى والظلم تتكرر اليوم عن طريق الإساءات الغربية المتكررة إلى الإسلام، وسنة الله ماضية في تدافع الحق والباطل.

13. **الخوف من انتشار دين الحق:** يقول الإمام ابن إسحاق رحمه الله: "ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء ،وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين"[(1)].

فسرعة انتشار الإسلام بين الناس جعل كفار قريش ينشرون الإساءات ويؤذون الله ورسوله والمؤمنين، من أجل صد الناس عن الدخول في دين الحق.

نفس الموقف يتكرر اليوم؛ فدخول آلاف الغربيين كل عام في الإسلام، وارتفاع نسبة المسلمين في الدول الغربية، جعل الحاقدين على الإسلام من الغربيين يسيئون إلى المقدسات الإسلامية بأساليب مختلفة؛ من أجل إبعاد الغربيين أولا عن الدخول في الإسلام، وتشويه صورته لديهم، ومن أجل التضييق على المسلمين هناك وصرفهم عن دينهم ومصدر قوتهم ومنع الإسلام من التمدد والتمكن من الغرب ثانيا.

ثانيا– تكذيب المشركين للرسالة والنبوة:

إن من سنن الله تعالى سنة تكذيب المرسلين، قال الله تعالى لنبيه وحبيبه وصفوة خلقه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾(الأنعام:34).

قال الشهيد سيد قطب–رحمه الله–:" إن موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم، ضارب في شعاب الزمن، ماض في الطريق اللاحب، ماض في الخط الواصب.. مستقيم الخطى، ثابت

الأقدام. يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، ويقاومه التابعون من الضالين والمتبوعون، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء. . والموكب في طريقه لا ينحني ولا ينثني ولا ينكص ولا يحيد والعاقبة هي العاقبة، مهما طال الزمن ومهما طال الطريق. . إن نصر الله دائماً في نهاية الطريق:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾..

كلمات يقولها الله – سبحانه – لرسوله ﷺ. . كلمات للذكرى، وللتسرية وللمواساة، والتأسية.. وهي ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله – ﷺ– طريقهم واضحاً، ودورهم محدداً، كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق.."[2].

ويضيف قائلا: "إنها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة . كما أنها كذلك وحدة . وحدة لا تتجزأ.. دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى. . وصبر من الدعاة على التكذيب وصبر كذلك على الأذى . . وسنة تجري بالنصر في النهاية . . ولكنها تجيء في موعدها. لا يعجلها عن هذا الموعد أن الدعاة الأبرياء الطيبين المخلصين يتلقون الأذى والتكذيب، ولا أن المجرمين الضالين والمضلين يقدرون على أذى المخلصين الأبرياء الطيبين! ولا يعجلها كذلك عن موعدها أن صاحب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته ومن شهواته إنما يرغب في هداية قومه حباً في هدايتهم، ويأسى على ما هم فيه من ضلال وشقوة ، وعلى ما ينتظرهم من دمار وعذاب في الدنيا والآخرة"[3].

قال جل ذكره: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(سورة فاطر:4)، وقال الحق سبحانه:﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾(سورة المؤمنون:44).

وقد تحدثت سورة القمر عن الأقوام التي كذبت رسلها، قال الله عز اسمه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾(سورة القمر:9)، قال جل ثناؤه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ

عَذَابِي وَنُذُرِ﴾(سورة القمر:18)، وقال ﷻ:﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾(سورة القمر:23)، وقال سبحانه وتعالى:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾(سورة القمر:33)، وقال جل وعلا:﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾(سورة القمر:41-42).

ثم قال جل ذكره: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾(سورة القمر:43)؛ "أي الكفار المعدودين قوم نوح . وهود. وصالح. ولوط. وآل فرعون، والمراد الخيرية باعتبار الدنيا وزينتها ككثرة القوة والشدة وَوُفور العدد والعدة، أو باعتبار لين الشكيمة في الكفر بأن يكون الكفار المحدث عنهم بالخيرية أقل عناداً وأقرب طاعة وانقياداً، وظاهر كلام كثير أن الخطاب هنا عام للمسلمين وغيرهم حيث قالوا: ﴿أكفاركم﴾ يا معشر العرب ﴿خَيْرٌ﴾ الخ والاستفهام إنكاري في معنى النفي فكأنه قيل: ما كفاركم خير من أولئكم الكفار المعدودين بأن يكونوا أكثر منهم قوة وشدة وأوفر عدداً وعدة، أو بأن يكونوا ألين شكيمة في الكفر والعصيان والضلال والطغيان، بل هم دونهم في القوة وما أشبهها من زينة الدنيا، أو أسوأ حالاً منهم في الكفر، وقد أصاب من هو خير ما أصاب فكيف يطمعون هم في أن لا يصيبهم نحو ذلك"[(4)].

هذا وقد تجلت إساءة كفار قريش إلى النبي ﷺ فيما يأتي:

كذبوا النبي ﷺ وكانوا يسمونه قبل بعثته الصادق الأمين، واستهزؤوا به ﷺ وسخروا منه، واتهموه ﷺ بالسحر، وتواصوا بالثبات على شركهم وكفرهم، واحتقروا المستضعفين الذين آمنوا بالنبي ﷺ، ودافعوا عن شركهم، واستبعدوا اختصاص سيدنا رسول الله ﷺ بالرسالة الخالدة، وكذبوا بالبعث والنشور وبيوم القيامة وبالغوا في طلبهم، فطلبوا الخوارق رُغم ما رأوه من المعجزات والآيات الباهرات، ومن شدة إنكارهم واستكبارهم طلبوا تعجيل العقوبة؛ قال الحق سبحانه وتعالى:﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[الحج: 47].

تلك إذن، هي سنة الله في الدعوات وفي الرسل والرسالات؛ قال الحق جل في علاه: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].

ثالثا–كيف واجه النبي ﷺ الإساءات المتكررة إليه وإلى دينه ورسالته السماوية:

1–الصبر:

لقد اتصف سيدنا وسندنا رسول الله ﷺ "بالصبر، وشدة الاحتمال، والعفو عند المقدرة، كان لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبرا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما، لقي في سبيل الله الشدائد، وتعرض للمكاره، وهو لا يزداد إلا ثباتا ومضاءً وإقداما"[(5)] صلوات ربي وسلامه عليه.

ولهذا فإن الصور المشرقة من تؤدة سيدنا رسول الله ﷺ وصبره لا تعد ولا تحصى: "كان مُحَمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام صبورا، أبلغ ما يكون الصبور، فقد كان قبل البعثة الصابر في المنشط والمكره، والصابر في الفقر والغنى، والصابر في العجز والمقدرة، ثم كان بعد البعثة الصابر في أداء الرسالة وتبليغها والدعوة إليها، صابر المشركين عند الدعوة، صابر قومه الذين جفوه، ونكروه وهم يعرفونه، وكذبوه وهو الصادق الأمين, ورموه بالسحر كذبا، والجنون افتراء، وقالوا في رسالته، وقد وسع صبره كل افترائهم، فما وهن في دعوته، ولا يئس من إجابته، وكان يرضى في أن يصدع بأمر ربه وهو يصبر على إنكارهم من غير أن ييأس من إيمانهم، ويدعو عليهم.

... ولقد صبر ﷺ على استهزائهم وعلى سخريتهم، وهو آخذ نفسه بأنهم كلما سخروا منه زادت عنايته بالدعوة، وزادت قوته في الاحتمال ورغبته في المصابرة، غير متحمل ولا يائس، فإن الصبر يبعد اليأس ويقرب الرجاء، ويهدي للتي هي أقوم، ويوقظ الضمائر إن كانت فيها قوة الحياة. وإن الصبر للذي تشمس نفسه، يكون كالسقي والرعي يحيي ولا يميت. والملاحاة تشغل النفس عن الحق، وتوجب انحياز كل إلى جانبه، فلا يرى إلا ما عنده، ويعمى عما في الجانب الآخر، فتكون النظرة الجانبية، والنظرة الجانبية لا يعيب صاحبها.

وصبر عليه الصلاة والسلام على الأذى ينزل بجسمه، وبأهله، ألم تره صبر على الحرمان هو وبنو هاشم عندما قاطعتهم قريش ثلاث سنين دأبا. لاقوا فيها العنف من قومهم، فما أسلموا مُحَمَّدا ﷺ لأعدائه.

فكان صبره ﷺ صبرين، صبر الداعي إلى الحق يحمل في أثنائه ما يلاقي من جفوة قاطعة لما أمر الله تعالى به أن يوصل، وصبرا على أذى القريب الواصل الذي يرى أنه كان سببا في أنه أذاق آله وأحبابه مرارة الحرمان والقطيعة"[6].

2-الدعاء:

إن الدعاء محبوب لله عز وجل ودليل على الإيمان به والتوكل عليه عز وجل. وهو سبب لنزول رحمة الله عز وجل ودفع البلاء .وله أثر إيجابي يتمثل في انشراح الصدر وتفريغ الهم وزوال الغم...وقد التجأ سيدنا رسول الله ﷺ بالدعاء إلى الله في عدة مواطن كثيرة تعرض فيها للإساءة منها: لما خرج للطائف، يلتمس النصرة من ثقيف ويدعو إلى الله. كان ردهم شر رد، وأوذي رسول الله ﷺ في جسده، حينها "دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنًا مما لقى من الشدة، وأسفًا على أنه لم يؤمن به أحد، قال: « اللَّهمّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ»[7].

وقد دعا رسول الله ﷺ على نفر من قريش آذوه في جسده الشريف لما طرحوا عليه ﷺ سلا جزور. كما جاء في حديث عبد الله ابن مسعود، فقد قال ﷺ: «**اللهمَّ عليك بقريش، اللهمَّ عليك بقريش**» لأبي جهلٍ بنِ هشام، وعتبةَ بنِ ربيعةَ، وشيبةَ بنِ ربيعة، والوليدِ بنِ عتبة، وأُبي بنِ خلفٍ، وعُقبةَ بنِ أبي مُعَيط. قال عبد الله: فلقد رأيتهم في قليبِ بدرٍ قتلى[8].

3- تفنيد الشائعات والادعاءات والجدال بالحجة والبرهان وبالتي هي أحسن:

إن نشر الشائعات هو أسلوب من أساليب الحرب النفسية التي اعتمدها الكفار لمواجهة الدعوة الإسلامية والإساءة إليها، لقدرتها الكبيرة على الانتشار وشدة تأثيرها على عواطف الناس، وقد تصدى النبي ﷺ لهذه الإشاعات المسيئة للرسالة السماوية بالدعوة إلى دين الحق، وبيان مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه عن طريق دعوة الناس أفرادا وجماعات، وفي المواسم والمناسبات وغير ذلك..

وعلى هذا لو اشتغل المسلمون وفق هذا المنهج وقاموا بتسفيه تلك الإساءات المعاصرة إلى المقدسات الإسلامية بالحجة والبيان، "وكشف خلفياتها المتحيزة ضد المشترك الإنساني، وضد الحريات المتقاطعة المكفولة قانونا، وضد الجهود المبذولة أمميا في إحلال السلم والتعايش بين الشعوب، والتي تقوم فيها الأديان بدور أساس؛ لو فعلوا ذلك وفتحوا فيه نقاشا فكريا وسياسيا رصينا، لكشفوا خلفيات الإساءة للناس وفندوا مرتكزاتها، وقدموا الصورة المشرقة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة التي يراد طمسها"[9]..

أما في الحجة والبرهان والجدال بالتي هي أحسن فقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في مجادلته لزعيم من زعماء الإساءة وهو عتبة بن ربيعة[10].. جادله بالتي هي أحسن، حتى كفه عن الإساءة إليه.

4- أسلوب الشدة في المواطن التي تقتضي ذلك:

استخدم رسول الله ﷺ الشدة في بعض المواطن مع كفار قريش المسيئين إليه وإلى رسالته، حتى لا يُفسر صبره ﷺ بأنه ضعف، فيطمع فيه أعداؤه. فكان لا بد أن يظهر النبي ﷺ من آن لآخر نوعا من الشدة في القول مع الكفار الذين يسيئون إليه...

فقد استخدم ﷺ الشدة مع الكفار ذات مرة لما غمزوه ثلاث مرات متتالية وهو يطوف بالكعبة، فكلمهم كلاما عنيفا[11].

وفي موقف آخر فيما رواه الإمام ابن إسحاق قائلا: "وقدم رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «**لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟**» قال:نعم يا رسول الله، قال:«**لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا**». فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: «**يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟**» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا[12]".

5-المقاطعة والحظر الاقتصادي:

استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في عدة مواطن، وقد له نتائج إيجابية كثيرة..

فقد حاصر ﷺ يهودي بني قينقاع، فقد كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه ﷺ، حتى نزلوا على حكمه.

فقد حاصرهم النبي ﷺ خمسة عشرة ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ[13].

ومن ذلك أيضا لما نقض يهود بني النضير العهد، وهموا بالغدر به وقتله ﷺ، سار إليهم. قال الإمام ابن إسحاق رحمه الله: "فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن مُحَمَّد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ [14] ".

ولم يطل الحصار؛ فقد دام ست ليال فقط، وقيل : خمس عشرة ليلة . حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : نحن نخرج عن المدينة. فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح [15]".

هذا الحصار والأمر بالقطع والتحريق يعتبر حربا اقتصادية، لما فيه من إتلاف أموالهم ومنع تزودهم بالزاد والقوت، حتى يخضعوا ويسلموا لرسول الله ﷺ.

ويظهر هذا الأسلوب في قصة إسلام ثمامة بن أثال وفيها.. فلما قدم مكة قال له قائل: أصَبَوْتَ؟ فقال: لا. ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ. ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حِنْطَةٍ حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ (16) .

الفرع الثاني: سبل مواجهة الإساءة إلى المقدسات الإسلامية

أولا–بين يدي المواجهة:

إن سنة الله في صراع الحق والباطل تستمر بأشكال مختلفة وأساليب متعددة؛ لذلك نجد الإساءة الغربية للمقدسات الإسلامية لم تقتصر على الإساءة إلى مقدس واحد، بل تعددت أوجه الإساءة؛ حتى تعرضت لسائر المقدسات الإسلامية بالإساءة بدءا من النبي ﷺ بالسخرية منه ﷺ من خلال الرسوم المسيئة في صحف الدانمارك والنرويج والسويد وفرنسا وهولندا، مرورا بالقرآن الكريم ، وصولا إلى باقي احكام الإسلام وشعائر الدين كالحجاب والصيام... انتهاء بتشويه صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة الغربية، وانتشار الإسلاموفوبيا في الغرب، والتحريض على العنف ضد المسلمين..

ومن ثم فإن الإساءات الغربية إلى المقدسات الإسلامية ليست من قبيل الصدفة، وإنما انطلقت من منطلقات ومخططات قبلية تحركها قوى وأياد خفية في ظلام الجهل والحقد الغربي على أمة الإسلام ورسالتها وأحكامها وأخلاقها. ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: 120]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: 217].

أضف إلى كل هذا أن أهداف المسيئين من وراء هذه الإساءات المتكررة هي أهداف دينية عقدية وليست فقط سياسية. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

لكن رب ضارة نافعة، وكم من محنة في طيها منحة، ومن حيث لا يدري هؤلاء ساعدوا على المسلمين تقوية علاقتهم برسول الله ﷺ، بل كانت ذلك فرصة عظيمة أيضا لنشر دعوة الإسلام وأخلاقه وسيرته نبيه ﷺ بمختلف اللغات العالمية.

كما كانت هذه الإساءات فرصة لتجديد محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين مع كل حدث إساءة، لتكون تلك الإساءة جمراً يتضوع به طيب محبة النبي ﷺ الكامن في قلب هذه الأمة المسلمة، فيفوح مسكًا تطيب به ربوع الأرض كلها. وما رأيناه في واقعنا اليوم إبان الإساءات الغربية من هبة لجموع المسلمين في كامل أنحاء العالم لنصرة نبيهم ﷺ والذود عنه إنما جزء من الوقوف في وجه الإساءة إلى مقدسات الإسلام. فعلى الرغم من كفاية الله تعالى نبيّه سخرية المستهزئين والمسيئين، إلا أن واجب نصرته وتعزيره لاحقٌ كلَّ مسلم بما يطيق، ولا يتحقق الفلاح إلا بذلك.

ومن ثم فإن هذه الإساءات لهي سبب من أسباب النصر، إذ جعلت أمة الإسلام تستيقظ وتتلاحم وتتآزر، وتعرف حقيقة العدو، وتتعرف على نبيها أكثر.

ثانيا–المسلمون وواجب النصرة:

إن الإساءة إلى المقدسات الإسلامية عامة وإلى سيدنا رسول الله ﷺ خاصة هي مساس بعقيدة كل مسلم ؛ ومن ثم فإن نصرة المقدسات الإسلامية وعامة والنبي ﷺ واجب ديني وعقدي . قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

ومن ثم فإنّ من أهم حقوق النبي ﷺ التعزير وهو النُّصرة مع التعظيم والحماية والتوقير... أما وقد فاتتنا نُصرته حيًّا، كما نصره أصحابه الكرام ﷺ؛ فإنّ واجب الدفاع عنه وهو عند ربه ما زال باقيًا، وواجب التعزير والتوقير لا يزال قائمًا، والنُّصرة والحماية والذود عنه من أجل إعلاء شأنه وتكريم مقامه العظيم بما يليق به ﷺ واجب.

من أجل ذلك فإن الأمة المسلمة اليوم بنخبها ومفكريها ومؤسساتها وأفرادها في حاجة إلى الانطلاق من رؤية واضحة كلية في مواجهاتها لأشكال الإساءة إلى مقدساتها، إذ إن أول منطلق في المواجهة هو تقويم أساليب المواجهة الحالية ووسائلها، أما المنطلق الثاني فيتجلى في وضع معالم قرآنية منهاجية واضحة للمواجهة.

ومن ثم فإن النظر السنني يكشف لنا عن حقيقة الإساءة وأصولها وأبعادها الدينية والعقدية والسياسية.. كما يبين لنا الخطوات الواجب اتباعها:

1-عدم رد الإساء بمثلها:

إن الرد على مثل هذه الإساءات لابد وأن يكون بوسائل مشروعة، نثبت من خلالها حبّنا لرسول الله ﷺ وإنكارنا ورفضنا لكل الوسائل التي تمس بعظمته وجنابه الشريف ومقامه العظيم ونبوته ورسالته الخالدة، ونُسمع العالم أنّنا نرفض أن يُمسّ رسولنا ﷺ ..

لكن لابد من التنبيه على أن الإساءة لا ترد بإساءة مثلها، أو بالسب والشتم والقذف ومجانبة الأخلاق والقيم الإسلامية وإنما ترد بالحكمة والخلق الحسن، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:108]. ويقول جلا وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125].

وروى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة الصديقية رضي الله عنها: قالت: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَهْلًا يا عَائِشَةُ، فإنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فقَدْ قُلتُ: وعلَيْكُم».

وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ أُمُّ المؤمِنينَ عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنها أنَّ اليهودَ أَتَوُا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالوا: «السَّامُ عليك»، يُوهِمون النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ومَن معه أنَّهم يُلْقُون عليهم تَحيَّةَ

الإسلامِ، والحقيقةُ أنَّهم يَدْعون عليهم، والسَّامُ: الموتُ والهَلَكةُ، ولكِنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قدْ فَطِنَ لقَولِهم ورَدَّ عليهم وقال: «وعليكم»، ومعْنى جَوابِه: وعليكمْ مِثْلُ ما قُلتُم مِن الدُّعاءِ.

وتأسيسا عليه؛ لابد من التقيد بضوابط الإسلام وقيمه وأخلاقه وسننه في كل مواجهة، وأن تكون المواجهة بالحكمة لا بالحماقة، وبالأسلوب الهادئ لا بالاندفاع الجاهل..وأن نرد الإساءة بخلق النبي الكريم ﷺ.. لا بمخالفة منهاجه وطريقه..

ويكفي أن نذكر من السيرة الغراء أن رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، إنما وفر جوا آمنا من السلم والطمأنينة، فيه أمكن بيان قيم الخير والتراحم والمحبة في الدين التي جلبت اليها كثيرا من المتطلعين؛ وهو ما لم يدركه بعض الصحابة رضي الله عنهم أنفسهم إلا بعد حين. ولو كان من عمله ﷺ مواجهة الإساءة بالإساءة، لدعا على قومه وقد آذوه، ولم يدع لهم بقوله: «اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون»؛ ولقضى على أهل مكة بعد فتحها وقد أخرجوه، ولم يقل لهم ما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»[17].

2–العودة إلى الله تعالى..

لقد ابتعدنا عن طريق الحق ومنهاج النبي ﷺ وعن المثل التي حثنا عليها، وتخلينا عن هديه القويم في ديننا ودنيانا، وهذا ما جعل الحاقدين يتطاولون على مقدساتنا الإسلامية، وعليه فقد آن الأوان لأن نصلح ما فات ونتدارك أخطاءنا، ونرجع إلى الله تعالى، وإلى سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.. لأننا نحن أول المسيئين إلى ديننا لما تنكبنا هديه وأخلاقه وقيمه وتعاليمه.. فعودتنا إلى ديننا، تجعل الآخر يفكر ألف مرة قبل أن يسيء إلى مقدساتنا.

وهنا حقيقة يجب أن نقف عندها؛ لما اشتد إنكار قريش للرسالة الخالدة، واستهزؤوا بالنبي ﷺ، أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بالارتباط الوثيق به سبحانه، ويتجلى ذلك الارتباط في قيام الليل وذكر الله والتبتل، والاعتكاف ببابه جل وعلا، والصبر الجميل على أذى المشركين، والتوكل عليه جل وعلا, قال الحق جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً*

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً* إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً* إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً* وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً.....﴾(سورة المزمل: 1-13).

إذن فهذه الإساءات المتكررة يجب أن تعيدنا إلى الله تعالى، حتى نرتبط به أكثر، ونأوي إلى ركنه الشديد، ونتمسك بدينه، ونعض عليه بالنواجذ، صدقا وإخلاصا، وعبادة وأخلاقا..

ذلك بأن الارتباط الوثيق بالسماء يُزَوِّد المؤمن بالإيمان الذي يعينه على تحمل الشدائد والصبر على الابتلاءات واقتحام العقبات.

3- التعريف بالنبي ﷺ وبرسالته الخالدة وسيرته العطرة بمختلف اللغات العالمية، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة المرئية والسمعية والمقروءة..

هذا من واجباتنا نحو رسول الله ﷺ، نعرف المسلمين به أولا، ثم نعرف الآخرين بسيرته العطرة وأيامه الخالدة وأخلاقه الكاملة، وقيمه السامية... لذا فنحن مطالبون بأن نزيل هذه الصورة المسيئة إلى المقدسات الإسلامية التي يحاول الغرب أن يلصقوها بالنبي ﷺ والإسلام والذين متذرعا بحرية التعبير.. وأن نقدم الأنموذج الإسلامي في أفضل صوره المشرقة.

4-إحياء معاني الرحمة للعالمين في سيرة النبي الأمين ﷺ:

إن طرفا حينما يستهدف قيمةً دينية بالإساءة، فالمطلوب الاشتغال بإحياء تلك القيمة والتعريف بمزاياها ومحاسنها وجعلها صلب الاهتمام، أكثر من الانشغال بالمسيء انتقادا أو مواجهة. فبناؤها الجيد الذي يثمر صلابتها وقوتها الاقناعية، هو ما سيجعل إساءات المسيئين تتهاوى وتفقد كل حجة. وحينما يتفشى الكذب والخيانة والسرقة في جماعة ما، فإن واجب التبليغ والبيان يقتضي بذل الجهد في التعريف بالصدق والأمانة والوفاء، وليس لعن الجماعة ولا حتى تلك الأخلاق الذميمة. وحينما يتم الترويج للميوعة والانحلال عبر وسائل معينة، فينبغي الاتجاه الى بناء العفة والحياء في النفوس أكثر من مواجهة تلك الوسائل التي لا يمكن قهرها أحيانا. وحينما يُعمل على إحلال الفوضى والنزاع وإثارة النعرات المختلفة، فالواجب الاشتغال على تعزيز الوحدة والنظام والانسجام الذي على متنه الصلب تتحطم تلك النزعات[18]..

ومن ثم فإن هذه الإساءات المتكررة هي فرصة ثمينة لإحياء معاني الرحمة للعالمين في سيرة خاتم النبيين ﷺ، وفرصة أيضا للتعريف بقيم الإسلام الإنسانية والاجتماعية والحضارية بكل لغات العالم.

5-استراتيجية عملية لمواجهة الإساءة:

إن المسلمين في أمس الحاجة إلى استراتيجية دقيقة للرد على الإساءات المتكررة، وذلك من خلال:

- ترجمة كل ما يتعلق بالإسلام ديناً ورسالة، دعوة ودولة، أحكاما وقيما وأخلاقا، وحضارة وفكرًا إلى اللغات الأخرى.

- توظيف وسائل الاتصال والإعلام الجديد واستثمار التكنولوجيا الحديثة في التعريف بالمقدسات الإسلامية .

- الانتقال من الرد الآني والتلقائي إلى الرد المستدام، القائم على الحكمة والحجة والبرهان وبعد النظر وحسن الخلق والتعبير السلمي.

- الاستناد إلى القوانين الدولية التي تجرم الإساءة إلى المقدسات الدينية.

- مقاطعة الجهات ذات الصلة بنشر الأعمال المسيئة للإسلام: ذلك بأن المقاطعة سلوك حضاري لا يجب إغفاله في مثل هذه الحالات.

- الابتعاد عن كل أعمال العدوان والتخريب والعنف. لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

الخاتمة:

من خلال ما تقدم أختم بالآتي:

-إن الإساءة الحالية للمقدسات الإسلامية هي امتداد للإساءة السابقة، والتاريخ يعيد نفسه، وسنته تعالى في صراع الحق والباطل ماضية لا تتخلف. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلا﴾ [الفتح: 23].. والدوافع الحديثة وراء الإساءة إلى المقدسات الإسلامية هي نفسها الدوافع القديمة.

-إن الإساءات الغربية المتكررة إلى المقدسات الإسلامية انطلقت من منهجية واضحة وراسخة في ذهنيتها، ولم يكن ذلك خبط عشواء أو ارتجالا، أو ردّةَ فعل، وإنما هناك أيادي خفية تحركها في ظلام الجهل والحقد الغربي على أمة الإسلام ومقدساتها.

- إن الغرب يسعى جاهدًا لصناعة رأي عام معادٍ للإسلام والمسلمين؛ من خلال التعرض المباشر لمقدسات الدين (القرآن الكريم، النبي العظيم ﷺ...)، وإظهار الإسلام على أنه نموذج للرجعية والتخلف والتطرف والدموية، وأن دعاته همجيون لا يؤمنون بحرية الرأي والمعتقد.

-إن نصرة المقدسات الإسلامية واجب على كل مسلم ومسلمة، كل على حسب استطاعته، وتكون هذه النصرة بالعمل والاقتداء لا بالعنف والاعتداء.

-إن الإساءات الحديثة يجب استثمارها بصورة إيجابية في الدعوة إلى الله عز وجل والتعريف بدين الإسلام وبرسوله الكريم.

-إن المهيع الناجح لمواجهة الإساءات يكمن فيما يأتي:

- ✓ التغيير الذاتي والخروج من حالة الوهن الحضاري.
- ✓ -التعريف بالإسلام والنبي ﷺ وسيرته وأخلاقه وقيمه بلغات العالم، بكافة الوسائل المتاحة.

- ✓ -وجوب اتباع هديه ﷺ في الرد على الإساءات الحالية.
- ✓ -المقارعة الفكرية ...والسعي في تفعيل التشريعات الدولية في ازدراء الأديان. وغير ذلك..
- ✓ المقاطعة الاقتصادية للمسيئين إلى المقدسات الإسلامية.
- ✓ تقوية الجاليات المسلمة في الغرب وتوحيد صفها، حتى تقوم بالذود عن المقدسات الإسلامية بالوسائل السلمية المشروعة؛ لكونهم أكثر قربًا وفهمًا العقلية الغربية ومنطلقاتها وأجدر من يتعامل معها ويواجه سيل الإساءات.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

-إنشاء قنوات إعلامية ومواقع إلكترونية متخصصة في التعريف بالإسلام ونبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ونصرته.

- تزويد المناهج الدراسية في مختلف المسالك المعرفية بمواضيع تتعلق بسيرة سيدنا رسول ﷺ.
- ترجمة كتب السيرة النبوية وكتب الإسلام وأخلاقه وقيمه وتعاليمه إلى اللغات العالمية.
- عقد فعاليات دولية حول المقدسات الإسلامية: تعريفا وترسيخا وتحسيسا ونصرة.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم، كتاب رب العالمين، برواية حفص عن عاصم.

2- أبو زهرة مُحَمَّد، خاتم النبيين ﷺ، اعتنى به: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د،ت.

3- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت127هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تصحيح وتعليق: مُحَمَّد شكري الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث، بيروت، ط/د،ت.

4- البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت256هـ)، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه)، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.

5- التليدي عبد الله بن عبد القادر ، إتحاف أهل الوفا بتهذيب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للإمام القاضي عياض اليحصبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1421/1هـ-2000م.

6- شبار سعيد، الرسول الإنسان ﷺ، مقال منشور على موقع مركز دراسات المعرفة والحضارة.

7- قطب سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1425/34هـ-2004م.

8- المباركفوري صفي الرحمن (ت ١٤٢٧هـ)، الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت الطبعة الأولى (د.ت).

9- مُحَمَّد بن علوي المالكي الحسني، الذخائر المحمدية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1427/1هـ-2006م.

10- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

11- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو مُحَمَّد، جمال الدين (ت: 213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ/1955م.

الهوامش:

(1) سيرة ابن هشام، 294/1.

(2) في ظلال القرآن، 1077/2.

(3) نفسه، 1077/2-1078.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،92/27.

(5) الذخائر المحمدية، مُحَمَّد المالكي الحسني، ص292. إتحاف أهل الوفا بتهذيب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للإمام القاضي عياض اليحصبي، عبد الله التليدي، ص116-117.

(6) خاتم النبيين، أبو زهرة، 301/1-302.

(7) السيرة النبوية لابن هشام، 420/1.

(8) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ،رح2934.

(9) ينظر: الرسول الإنسان ﷺ، سعيد شبار، مقال منشور على موقع مركز دراسات المعرفة والحضارة، بتاريخ 2020/11/2.

(10) ينظر: سيرة ابن هشام، 294/1.

(11) ينظر بعض الأمثلة في: سيرة ابن هشام، 290/1.

(12) سيرة ابن هشام، 234/2.

(13) ينظر: سيرة ابن هشام، 601/2.

(14) نفسه، 191/2.

(15) الرحيق المختوم، للمباركفوي، ص270.

(16) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، رح 1764..

(17) ينظر: الرسول الإنسان ﷺ، سعيد شبار، مقال منشور على موقع مركز دراسات المعرفة والحضارة، بتاريخ 2020/11/2.

(18) ينظر: الرسول الإنسان ﷺ، سعيد شبار، مقال منشور على موقع مركز دراسات المعرفة والحضارة، بتاريخ 2020/11/2.